تفتقر للرطوبة، أو حبات التين، يبيعون ذلك في المدينة بما يكفل بعض المال، حواجز الاحتلال التي تغلق طرق المواصلات المعبدة إلى عشرات القرى، فيعثر الناس على ممرات ترابية بين الروابي والجبال ... إنها قوة الحياة.

ورابين حين توعد الانتفاضة بالقضاء عليها في غضون أيام، إنما استمرت سنوات، فهو لم يفهم قدرتنا على الصمود والحياة، وأية قيادة فلسطينية تصاب بالوهن وترفع رايات الاستسلام إنما تفرط بأحد أهم أسلحتنا، قدرة الشعب على الاصطبار والصمود.

وكثوري أفنى معظم سنوات عمره في العمل الثوري دون أية منافع شخصية، بل إنني أكدح لكي أعيش، لا يهمني كثيراً بعض الجوانب الفلسفية التي تتصل بنشأة الكون والحياة، وكيف يتطور هذا الكون وكيف يزول، اتصالاً بما تعلمته في المدرسة من رؤية غيبية، فإنني أنحاز بداهةً للعلم، ولقدرة البشر على صنع تاريخهم، وأكثر ما يشغلني أن يتحرر شعبي والإنسان عموماً والحرية وحق الاختيار والعدالة. وأن الذي أفرد المساحات الكبيرة لنقض الدين ونقده هو الفكر التنويري والثورة الرأسمالية، أما الرؤية الاشتراكية فقد استندت لما سبقها ولم تعتبر الدين هدفاً للنقد...

وهي تنظر له كجزء من التراث الإنساني، وكل التراث الإنساني إنما يخضع للتمحيص والتقييم، بناءً على الحساب الأخلاقي العملي، أي انعكاساته ونتائجه على البشر، والبشر عادةً ينتجون منظومات متجددة لمعالجة قضاياهم ...

وأي معتقد في نهاية الأمر هو مسألة ضميرية.

وكانت لي إطلالات مبكرة على بعض المعتقدات القديمة حيث عبدت شعوب تلك المرحلة آلهة متعددة وصولاً إلى عبادة الرب الأنثى سواء عشتروت أوآيزيس أو نانا ... وتوصف هذه الإلاهات بصفات القدرة وخلق الكون والحكمة...

وهذه الأيام ثمة مراجع عديدة مدعومة بعلم الآثار والوثائق ... أما في بدايات الشباب فلم يتوافر سوى النزر اليسير.

والاعتقاد السائد أن الفراعنة هم الذين ابتكروا التحنيط ما قبل أخناتون وايمانه بآتون إله الآلهة، ولكن ثمة اكتشافات في فلسطين عمرها سبعة آلاف عام عن أجسام محنطة، بما يحمل على الاعتقاد بالعودة للحياة بعد الموت. طبعاً هذا لا يبلغ التصور الديني، ذلك أن البشر قبلئذ لم يعرفوا دفن الموتى، فهذا السلوك البشري عمره بضعة آلاف من السنين فقط، بعدما قال الناس إن الروح تسكن باطن الأرض بعد الموت مما اقتضى دفن الجسد لكي تعود له الروح.

واعتبر الملك الفرعوني أنه ابن الآلهة وقد تجمعت في يديه السلطة السياسية والسلطة الدينية، وشيءٌ من هذا القبيل انتشر لدى الآشوريين، بل لحاكمهم صلة بالآلهة، ونعثر على تشابه في الثقافة اليابانية والإمبراطور